آياتُ دَائِرَةِ السَّوْءِ وظَنِّ السَّوْءِ
في القرآنِ الكريمِ
(دراسةً بلاغيةً)

إعداد الدكتور

عمر عبد الراضي عكاشة جاد الرب

المدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر

آياتُ دَائِرَةِ السَّوْءِ وظَنِّ السَّوْءِ في القرآن الكريمِ (دراسةً بلاغيةً)

عمر عبد الراضي عكاشة جاد الرب
قسم البلاغة والنقد ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر ــ جرجا ـ مصر
البريد الإلكتروني: omarabdelready.2040@azhar.edu.eg

ملخص البحث: الهدف من البحث دراسة آيات دائرة السوء وظن السوء في القرآن الكريم دراسة بلاغية، والكشف عن السياق التي وردت فيه هذه الآيات، والفرق بين السَّوْء والسُّوء، وتحليل ذلك بالمنهج التحليلي التكاملي البلاغي، ومن النتائج التي توصل إليها البحث: جاء التعبير بـ "دائرة السَّوْء" مرتين في القرآن الكريم في سورتي التوبة والفتح، و جاء التعبير بـ "ظن السَّوْء" مرتين في القرآن الكريم في سورة الفتح، والتعبيران في سياق واحد، وهو تَخَلُّفُ المنافقين عن الغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ، وللقرآن الكريم مزية في تعانق الآيات بعضها ببعض، بل تتعداها إلى تعانق السور، ولا توجد هذه المزية في أي كتاب آخر، وقد تناسبت سورة الفتح مع سورة التوبة في تناسب الكلام عن المنافقين فيهما، لا سيما المنافقين من الأعراب الذين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ، والسورتان تتناسبان في فضح أمر المنافقين من الأعراب، والدعاء عليهم بالهلاك والهزيمة في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨،والفتح:٦]، وهذا الدعاء بهذه الصيغة الموجزة لا مثيل له في الذكر الحكيم، ومن الخصائص البيانية لسورة التوبة وضوح أسلوب التصنيف لجرائم المنافقين، وتصنيف المنافقين من الأعراب، وأن المنافقين جميعًا يضاهئون المشركين، والتجسيم المعنوي الذي ورد في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨، والفتح:٦]، وكأن للسوء دائرة تنطبق وتدور عليهم فلا يفلت منها أحد منهم، وهو من التخييل الذي يعمق المعنى في النفس، وهو من الفرائد التي اختصت بهما هاتان السورتان بهذه الصيغة من بين سور القرآن الكريم، وهو دعاء من الله تعالى عليهم بمثل ما أرادوا بالمؤمنين؛ لأن الله تعالى يدافع

عن الذين آمنوا، وتعليم للمؤمنين بكيفية الدعاء عليهم، وقد اشتملت سورة الفتح على الظن المذموم مرتين، مرة في حق الله ـ ﷻ ـ ، ومرة في حق رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين، وجاء تذييل كل آية منهما رادعًا وزاجرًا لمناسبته السياق والمقام.

الكلمات المفتاحية: دائرة السوء ـ ظن السوء ـ في القرآن الكريم.

Verses of the Circle of Bad and Perceived Bad in the Noble Qur'an (Rhetorical Study)

Omar Abdel Radi Okasha Gad Lord
Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University - Gerga - Egypt
Email: omarabdelready.2040@azhar.edu.eg

Abstract: The aim of the research is to study the verses of the circle of bad and bad thought in the Noble Qur'an for a rhetorical study, to uncover the context in which these verses are mentioned, and the difference between bad and bad, and to analyze this using the rhetorical integrative analytical method. The circle of bad "twice in the Noble Qur'an in the Surat al-Tawbah and al-Fath, and the expression" thinking bad "came twice in the Noble Qur'an in Surat al-Fath, and the two expressions are in one context, which is the failure of hypocrites to conquer with the Messenger of God. The verses go beyond one another, but go beyond them to embrace the surahs, and this feature is not found in any other book, and Surat Al-Fath has been compatible with Surat Al-Tawbah in proportion to the words about the hypocrites in them, especially the hypocrites among the Arabs who failed to conquer with the Messenger of God, and the two surahs They are commensurate with exposing the hypocrites among the Bedouins, and praying for their destruction and defeat in the Almighty saying :At-Tawbah: 98, and Al-Fath: 6], and this supplication in this brief form has no parallel in the Holy Quran. Hypocrites, and ts The hypocrites are among the Bedouins, and that the hypocrites are all comparable to the polytheists, and the moral embodiment that was mentioned in the Almighty saying : At-Tawbah: 98, and Al-Fath: 6], and as if evil is a circle that applies and revolves around them, so that none of them escapes, and it is a fiction that deepens the meaning In the soul, and it is one of the merits that these two Surahs are singled out for in this form from among the chapters of the Noble Qur'an,

and it is a supplication from God Almighty for them as they want the believers Because God Almighty defends those who believe, and teaches the believers how to pray for them, and Surat Al-Fath included a blameworthy conjecture twice, once in the rights of God, and once against the Messenger of God and the believers. And maqam.

Key words: the circle of bad - bad thought - in the Holy Quran.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم والبيان، سيدنا محمد العدنان، وعلى آله وصحبه الكرام.

وبعد

فإن من فضل الله تعالى على خلقه أن جعل سوء الظن بعباده المؤمنين محرمًا؛ لذلك يحرم سوء الظن بالمؤمنين لما فيه من ضرر يقع عليهم، لا سيما إذا كان هذا الظن مبنيًا على الشكوك والهواجس والأوهام، والإنسان المريض بمرض ظن السّوء تراه يقدح الشك في قلبه بمجرد أول عَارِض من شُبْهَةٍ، وحَسْبُ مَنْ كان له قلب سليم أن يَكُفَّ سوء ظنه بالناس تحذير رسول الله ـ ﷺ ـ من الظن؛ لأن الظن أكذب الحديث، ولذلك روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[(١)]، والظن إما أن يكون حديثًا يُتَحَدَّثُ به؛ وهذا يلزم صاحبه الإثم؛ لأنه يترتب عليه ضياع حقوق، أو هتك عرض، أو غير ذلك، وإما أن يكون ظنًا مُضْمَرًا في النفس لا يُتَحَدَّثُ به، وهذا ليس على صاحبه إثم؛ لأنه لا يترتب عليه ضياع حقوق، أو هتك عرض، أو غير ذلك، والنفوس

---

(١) صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ١٩٨٥/٤ ـ بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا ـ رقم ٢٥٦٣ . دار إحياء التراث العربي . بيروت من دون تاريخ، و(هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ...، قَالَ سُفْيَانُ: الظَّنُّ ظَنَّانِ: فَظَنٌّ إِثْمٌ، وَظَنٌّ لَيْسَ بِإِثْمٍ، فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي هُوَ إِثْمٌ فَالَّذِي يَظُنُّ ظَنًّا وَيَتَكَلَّمُ بِهِ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ بِإِثْمٍ فَالَّذِي يَظُنُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ). سنن الترمذي ت/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة ٣٥٦/٤ ـ بَابُ مَا جَاءَ فِي ظَنِّ السُّوءِ ـ رقم ١٩٨٨ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

المريضة بمرض ظن السوء، والتي امتلأ جوفها بالحقد والحسد والبغض لعباده المؤمنين، لم تَسْلَم من الخوض في سوء الظن بعباده المؤمنين، ولم تأمن عاقبة وَيْلَاته وتبعاته على الفرد والأسرة والمجتمع عامة، حتى أصبح سوء الظن بالناس بمثابة وَبَاءٍ ينتشر في كل زمان ومكان، يدب دبيب النمل في الصدور، ويجري مجرى الدم في العروق، ولا يَسْلَمُ منه إلا من اعتصم بحبل الله تعالى، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة: "آياتُ دَائِرَةِ السَّوْءِ وظَنِّ السَّوْءِ في القرآنِ الكريمِ دراسةً بلاغيةً"، والتي تسير في ركب الدراسة البلاغية القائمة على المنهج التحليلي.

والهدف من البحث دراسة آيات دائرة السوء وظن السوء في القرآن الكريم دراسة بلاغية، والكشف عن السياق الذي وردت فيه هذه الآيات، والفرق بين السَّوْء والسُّوء، وتحليل ذلك بالمنهج التحليلي التكاملي البلاغي.

ومما لا شك فيه أن الظن ورد في القرآن الكريم في مواطن عديدة، والأمر باجتناب كثير من الظن عمومًا يدل على مدى خطره، فما بالك بالظن السيء، وقد اقتصرت هذه الدراسة على المواطن التي ذكرت "ظن السَّوْء"؛ لأنها أخطر وأبشع أنواع الظن، وجاءت "دائرةُ السَّوْءِ" في سياق "ظن السَّوْءِ" فانصهرا في بوتقة واحدة، فتَوَلَّدَت منهما هذه الدراسة التي أستمد من الله تعالى العون والتوفيق فيها، وأسأله تعالى العصمة من الذلل والخطأ، وقد بدأتُ الدراسة بـ "دائرة السَّوْء" ؛ لأن موضعها الأول في سورة التوبة، وهي أسبق من سورة الفتح في ترتيب سور القرآن الكريم.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه.

التمهيد: ذكرت فيه تعريف "الدائرة"، و "الظن"، و "السَّوْء" لغة واصطلاحًا، وآيات الدراسة.

المبحث الأول: "دائرة السَّوْءِ" في سورة التوبة.

المبحث الثاني: "ظن السَّوْء" و "دائرة السَّوْء" في سورة الفتح.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي اشتملت عليها الدراسة، ثم ذكرت فهرسًا للمصادر والمراجع، ثم فهرسًا للموضوعات.

وقد حرصتُ على تحليل كل آية تحليلًا بلاغيًا يقوم على تجلية السياق، مع بيان أسباب نزول الآيات، وعلاقتها بمطلع السورة، والكشف عن خصوصيات المعاني داخل كل آية، مع ذكر القراءات الواردة فيها، والفرق بينها.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى حقل الدراسة البلاغية القائمة على تذوق النظم القرآني الكريم، وعلى الله قصد السبيل، وهو ولي التوفيق.

د/ عمر عبد الراضي عكاشة جاد الرب

التمهيد

أولاً: تعريف الدائرة لغة واصطلاحاً:

تعريف الدائرة لغة: (دَارَ الشيءُ يَدُورُ دَوْرًا ودَوَرَانًا...، والدَّائرة: مَا أَحاط بِالشَّيْءِ، وَالدَّائِرَةُ: الْهَزِيمَةُ وَالسُّوءُ، يُقَالُ: عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ). (١)

تعريف الدائرة اصطلاحاً: (الدَّائِرَةُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ دَارَ إِذَا عَكَسَ سَيْرَهُ، فَالدَّائِرَةُ تَغَيُّرُ الحَالِ، وَغَلَبَ إِطْلَاقُهَا عَلَى تَغَيُّرِ الحَالِ مِنْ خَيْرٍ إِلَى شَرٍّ، وَدَوَائِرُ الدَّهْرِ: نُوَبُهُ وَدُوَلُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التَّوْبَة: ٩٨]، أَيْ: تَبَدُّلَ حَالِكُمْ مِنْ نَصْرٍ إِلَى هَزِيمَةٍ، وَقَدْ قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[الْفَتْح: ٦] إِنَّ إِضَافَةَ "دَائِرَةُ" إِلَى "السَّوْءِ" إِضَافَةُ بَيَانٍ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ: لَوْ لَمْ تُضَفِ الدَّائِرَةُ إِلَى السَّوْءِ عُرِفَ مِنْهَا مَعْنَاهُ، وَأَصْلُ تَأْنِيثِهَا لِلْمَرَّةِ، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَى التغيّر مُلَازِمَة لصبغة التَّأْنِيثِ). (٢)

ثانياً: تعريف الظن لغة واصطلاحاً:

تعريف الظن لغة: ("الظَّاءُ وَالنُّونُ" أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ: يَقِينٍ وَشَكٍّ، فَأَمَّا اليَقِينُ فَقَوْلُ القَائِلِ: ظَنَنْتُ ظَنًّا، أَيْ: أَيْقَنْتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أَرَادَ ــ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ــ يُوقِنُونَ...، وَالأَصْلُ الآخَرُ: الشَّكُّ، يُقَالُ: ظَنَنْتُ الشَّيْءَ، إِذَا لَمْ تَتَيَقَّنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الظِّنَّةُ: التُّهْمَةَ)(٣)، وسياق الكلام هو الذي يفرق بين الشك واليقين.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (دور) ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور ٦/ ٢٣٣ ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٤هـ .

(٣) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون (ظنَّ) ـ دار الفكر ـ ط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م بتصرف.

تعريف الظن اصطلاحاً: (هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان).(١)

ثالثاً: **تعريف السّوء لغة واصطلاحاً**:

تعريف السّوء لغة: هو مصدر مأخوذ من الفعل: (ساءه يسُوءه سوْءًا، بالفتح، وَمَساءَةً وَمَسائِيَةً: نقيضُ سَرَّهُ، والاسم (السُّوء) بالضم، وَقُرِئَ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السُّوءِ﴾ [الْفَتْح:٦] بِالضَّمِّ، أَيِ: الهَزِيمَةُ وَالشَّرُّ، وَقُرِئَ بِالفَتْحِ مِنَ (المَسَاءَةِ). (٢)

تعريف السّوء اصطلاحاً: هو (كلّ ما يغمّ الإنسان من الأمور الدّنيويّة، والأخروية، ومن الأحوال النّفسيّة، والبدنيّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفَقْدِ حَمِيم) (٣)، وقيل هو: (امتلاء قلبه بالظُّنون السيئة بالناس حتى يطفحَ على لسانه وجوارحه، فهم معه أبدًا في الهمز واللَّمز والطعن والعيب والبُغض، يبغضهم ويبغضونه، ويَلعنهم ويلعنونه، ويَحْذَرُهم ويَحْذَرونَ منه).(٤)

من خلال التعريفين السابقين لسوء الظن يتبين أنه ناتج عن أسباب مرضية قلبية أو نفسية أو بدافع الحقد والحسد، لا سيما إذا كان صاحب ظن السوء هذا من محدودي الفكر سطحي الفَهْم، أو مَنْ تكون شخصيته ضعيفة

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري ١٨٧ـ دار الريان للتراث ـ من دون تاريخ.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار (سوأ) ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ت/ صفوان عدنان الداودي ٤٤١ ـ دار القلم ـ الدار الشامية ـ دمشق بيروت ـ ط الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) كتاب الروح لابن القيم، ت/محمد أجمل أيوب الإصلاحي ٦٦٧، ٦٦٨ـ دار عالم الفوائد ـ ط الأولى ١٤٣٢هـ.

أمام أصدقائه وزملائه لعدم قدرته على الوصول إلى مستواهم العلمي، وقد يكون مستواه العلمي عاليًا إلا أن شخصيته ضعيفة أمام مَنْ هو أعلى منه درجة، أو ضعيف الإيمان مِنَ الذين لا يرضون بقضاء الله وقدره، وأصحاب الظنون السيئة تطفحُ على ألسنتهم وجوارحهم العيوب والطعون والبغضاء للناس، وتعرفهم في لحن قولهم، وتجدهم لا يُحِبُّون أحدًا ولا يُحِبُهُم أحد، فهم أشبه بالمنافقين الذين يتلونون في وجوههم على أشكال مختلفة ومتعددة، ويُجِيدُون الأكل على كل الموائد، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، والمرء بِنَقَاءِ نفسه لا بِفُتَاءِ جسمه، وعندما ينكشف أمرهم تراهم يبادرون بالأعذار الواهية لسوء ظنهم وجهلهم بِمَنْ ناله نار حقدهم وجَهْلِهِم، ولذلك قال المتنبي في مَنْ أُصيب بهذا المرض القلبي:

إذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَت ظُنونُهُ ... وَصَدَّقَ ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ
وَعادى مُحِبّيهِ بِقَولِ عُداتِهِ ... وَأَصبَحَ في لَيلٍ مِنَ الشَكِّ مُظلِمِ
أُصادِقُ نَفسَ المَرءِ مِن قَبلِ جِسمِهِ ... وَأَعرِفُها في فِعلِهِ وَالتَكَلُّمِ
وَأَحلُمُ عَن خِلّي وَأَعلَمُ أَنَّهُ ... مَتى أَجزِهِ حِلماً عَلى الجَهلِ يَندَمِ[1]

(١) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري، ت د/ عبد المجيد دياب ٤/ ٧٧، ٧٨ ـ دار المعارف ـ ط الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

رابعاً: آيات الدراسة:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٩٨]، وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح:١٢].

المبحث الأول

"دائرةُ السَّوْء" في سورة التوبة

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة:٩٨]، هذه الآية والتي قبلها تدخل في سياق واحد، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٧].

والمعنى العام لهاتين الآيتين: (أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ فِي الأَعْرَابِ كُفَّارًا وَمُنَافِقِينَ وَمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ وَنِفَاقَهُمْ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ وَأَشَدُّ وَأَجْدَرُ، أَيْ: أَحْرَى أن لا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ...، وأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مِنْهُمْ: ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾، أَيْ: فِي سَبِيلِ اللهِ ﴿مَغْرَمًا ﴾ ، أَيْ: غَرَامَةً وَخَسَارَةً، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ﴾ ، أَيْ: يَنْتَظِرُ بِكُمُ الحَوَادِثَ وَالْآفَاتِ، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾، أَيْ: هِيَ مُنْعَكِسَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالسَّوْءُ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، أَيْ: سَمِيعٌ لِدُعَاءِ عِبَادِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الخُذْلَانَ).[1]

أولًا: أسباب النزول:

هاتان الآيتان نزلتا في أعراب أسد وغطفان وغيرهم الذين كانوا يظهرون الإيمان رياءً ويبطنون الكفر خوفًا من المسلمين، ويعتبرون ما يعطونه من زكاة أو صدقات أموالهم مغرمًا أو جزية لا ترغبها أنفسهم، لأنها في ظنهم إتلاف للمال في غير منفعة، ولهذا كانت سورة التوبة أكثر السور اهتمامًا بالزكاة والصدقات ومصارفها؛ لأن في الزكاة والصدقات دليلًا على صدق

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت/ سامي بن محمد سلامة ٤/ ٢٠١، ٢٠٢ . دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

الإيمان، وهذا مما بَيَّن صدق المؤمنين وكذب المنافقين، ولذلك (قال الواحدي: نزلت في أعاريب من أسد وغطفان، ومن أعاريب حاضري المدينة).[١]

ثانياً: علاقة هاتين الآيتين بمطلع السورة:

مطلع سورة التوبة هو الوحيد من بين سور القرآن الكريم الذي تُرِكَت التسمية فيه، وقد وَجَّهَ العلماء ذلك بأنه يتناسب ومقصودها، قال أبو السعود: (حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الأمان الذي يأبى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعًا بوصف الرحمة)[٢]، ومبنى سورة التوبة على البراءة من المشركين ومن يضاهيهم، لا سيما المنافقين الذين فضحتهم واحدًا تلو الآخر، ولذلك كان من أسمائها الفاضحة[٣]؛ لأنها جمعت أصنافًا عديدة من المنافقين وفضحتهم، ومن افتضح أمره كان أهلًا للبراءة منه سواء أكان مشركًا أم منافقًا، (والمنافقون جميعًا يضاهئون المشركين، يكشف لك هذه المضاهاة تركيبان لا نظير لهما في الذكر الحكيم، فلئن قال الله ـ سبحانه ـ في المشركين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ت/ كمال بسيوني زغلول ٢٦٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤١١هـ.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٤/ ٣٩ ـ دار إحياء التراث العربي . بيروت من دون تاريخ.

(٣) (وتسميتها ببراءة واضح ـ أيضًا ـ فيما ذكر من مقصودها، وكذا الفاضحة: لأن من افتضح كان أهلًا للبراءة منه، والبحوث: لأنه لا يبحث إلا عن حال البغيض، والمبعثرة، والمنفرة، والمثيرة، والحافرة، والمخزية، والمهلكة والمشردة، والمدمدمة: لأنه لا يبعثر إلا حال العدو... وكذا المقشقشة: لأنهم قالوا: إن معناه: المبرئة من النفاق ـ من تقشقشت قروحه: إذا تقشرت للبراء ـ وتوجيهه: أن من عرف أن الله برىء منه ورسوله والمؤمنون لأمر، فهو جدير بأن يرجع عن ذلك الأمر، وعندي: أنه مضاعف القش الذي معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين). مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ للبقاعي ١٥٤/٢ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

نَجَسٌ ... ﴾الآية [التوبة:٢٨] فلقد قال في المنافقين: ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ [التوبة:٩٥]، وهم يقولون: هذا رجس نجس تصويرًا للخبث باللفظين فهم يستوون جميعًا في البراءة منهم).[١]

وسورة التوبة من السور المدنية، وهي (من السور التي اهتمت بالتشريع السياسي حربًا وسلمًا، وكشفت في هذا الإطار زيف المنافقين، وفضحت سرائرهم، ورصدت كثيرا من ألاعيبهم وتَلَوُّنِهِم...، فإذا لامهم لائم، أو أنكر عليهم مُنكر تصرفًا صدر عنهم، لم يجدوا إلا نفاق الكذب وكذب النفاق محاميًا عنهم، فيدعون أنهم لم يكونوا جادِّين فيما يؤخذ عليهم بل كانوا هازلين)[٢]، ولما كثر عرض تفصيل أصناف المنافقين في سورة التوبة بوجه لا نظير له في غيرها من سور القرآن الكريم؛ لذلك كانت هذه سمة من السمات البيانية لها، (ومن الخصائص البيانية لهذه السورة وضوح أسلوب التصنيف لجرائم المنافقين، من مثل قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ... ﴾الآية [التوبة:٤٩]، وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ... ﴾الآية [التوبة:٥٨]، وقوله:﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ... ﴾ الآية [التوبة:٦١]...، وصنف المنافقين من الأعراب في مثل قوله:﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٩٨]، وقوله: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ... ﴾ الآية [التوبة:١٠١]، والمنافقون جميعًا يضاهئون المشركين)[٣]، ولما كانت سورة التوبة تشتمل على

---

(١) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم دراسة بلاغية نظرية تطبيقية د/ إبراهيم الهدهد ٢٩٨ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الثانية ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/ عبد العظيم المطعني ٢/ ٣ ، ١٩ ، ٢٠ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الثالثة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٣) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم د/ إبراهيم الهدهد ٢٩٧، ٢٩٨.

هذه الأصناف المتعددة من المنافقين؛ لذلك جاء التعبير بـ ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ لمناسبته السياق والمقام للسورة الكريمة، وهذا هو السياق العام، أما السياق الخاص أو الجزئي فإن الله تعالى جمع الأعراب بجميع أصنافهم الكفرة، والمنافقون، والمؤمنون في ثلاث آيات متوالية، أما الكفرة ففي قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة:٩٧]، ثم جاءت المقابلة بين نفقة المنافقين، ونفقة المؤمنين منهم ، فالمنافقون في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا ... ﴾ [التوبة:٩٨]، حيث جاء في التحقير من شأن نفقة المنافقين من الأعراب في إفراد لفظ "مغرم"، وذلك ليقابل بعد هذه الآية بالثناء والكثرة من شأن نفقة الأعراب المؤمنين بالجمع في لفظ "قربات" في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٩٩]، (لذلك حين أراد الله أن يحقر من شأن نفقة المنافقين آثر صيغة الإفراد في الآية التي سبقت هذه الآية...، وجاء في مقام الثناء على المكثرين من الإنفاق تقربًا إلى الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾ فجاء الجمع "قربات" إشارة إلى كثرة ما بذلوه في سبيل الله، واستدرارًا للمزيد من دعوات الرسول ـ ﷺ ـ، فعدوا، أي: المنافقون ما أنفقوه "مغرمًا" واحدًا، في مقابل الجمع "قربات" في نفقة المؤمنين؛ وذلك للإشارة إلى ضآلة ما أنفقوه وقلته، ولو كانت نفقاتهم كثيرة لاتخذوها مغارم لا مغرمًا واحدًا، فاجتمع في الآيتين من التناسب الدقيق في المقابلة... ما يشهد بإعجاز النظم الحكيم).[1]

(١) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن د/ محمد الأمين الخضري ١٣٠، ١٣١ ـ مطبعة الحسين الإسلامية ـ خلف الجامع الأزهر ـ ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ الأعراب هم سكان البادية، والعَرَبُ هم (وُلْدُ إسماعيلَ، والأَعْرَابُ جمعه في الأصل، وصار ذلك اسمًا لسكّان البادية)[1]، وسكان البادية يغلب عليهم طابع الغلظة والشدة والجفاء بسبب عُزلتهم، وعدم انْصِهَارهم في بوتقة المدن، وحرف الجر "من" هنا في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ يفيد "التبعيض"[2]، أي: طائفة من الأعراب؛ لأن الأعراب ليسوا كلهم منافقين، بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ... ﴾[التوبة:٩٩]، (وَهَؤُلَاءِ وَإِنْ كَانُوا مِنْ جُمْلَةِ مُنَافِقِي الأَعْرَابِ فَتَخْصِيصُهُمْ بِالتَّقْسِيمِ هَنَا مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى مَا اخْتُصُّوا بِهِ مِنْ أَحْوَالِ النِّفَاقِ؛ لِأَنَّ التَّقَاسِيمَ فِي المَقَامَاتِ الخِطَابِيَّةِ وَالمُجَادِلَاتِ تَعْتَمِدُ اخْتِلَافًا مَا فِي أَحْوَالِ المُقَسَّمِ، وَلَا يُعْبَأُ فِيهَا بِدُخُولِ القَسْمِ فِي قَسِيمِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ هُوَ فِي التَّقْسِيمِ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التَّوْبَة:٩٩]) [3]، والفعل ﴿يَتَّخِذُ ﴾ معناه: يَجْعَلُ أو يَعُدُّ أو يَحْسَبُ؛ (لِأَنَّ اتَّخَذَ مِنْ أَخَوَاتِ جَعَلَ، وَالجَعْلُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى التَّغْيِيرِ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ نَحْوَ جَعَلْتُ الشَّقَّةَ بَرْدًا، وَيُطْلَقُ بِمَعْنَى العَدِّ وَالحُسْبَانِ نَحْوَ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النَّحْل:٩١] فَكَذَلِكَ يَتَّخِذُ هُنَا)[4]، وعبر المولى ـ ﷻ ـ بقوله: ﴿مَغْرَمًا ﴾؛ لأن الغُرْمَ هو:(ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه، أو خيانة، يقال: غَرِمَ كذا غُرْمًا ومَغْرَمًا، وأُغْرِمَ

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٥٥٦.
(٢) معاني الحروف للرماني، ت/ الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ٨٧ ـ المكتبة العصرية . صيدا ـ بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
(٣) التحرير والتنوير ١١ /١٣.
(٤) السابق١١/١٣.

فلان غَرَامَةً)[1]، فكانوا يعتبرون ما ينفقونه من زكاة أو صدقة ما هي إلا غرامة مقتطعة من أموالهم ظلمًا وكرهًا، وتُسَمَّى في عصرنا الحديث "إتاوة"، وكانوا لا يدفعونها ابتغاء وجه الله تعالى، ولكن يدفعونها رياءً أو تقيةً وخوفًا من المسلمين، ففضحهم الله ـ ﷻ ـ في سورة الفاضحة، وآثر المولى ـ ﷻ ـ التعبير بالمفرد "مغرمًا" قوله: ﴿مَغۡرَمٗا﴾؛ للتقليل من شأن نفقتهم، (وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنِ امْتَنَعُوا مِنْ إِعْطَاءِ الزَّكَاةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ وَقَالَ قَائِلُهُمْ مِنْ طَيِّءٍ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ ـ ﷺ ـ لَمَّا جَاءَهُمُ السَّاعِي لِإِحْصَاءِ زَكَاةِ الْأَنْعَامِ:

فَقُولَا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرَفِيَّ الْفَرَائِضُ

أَيْ: فَرَائِضُ الزَّكَاةِ هِيَ السَّيْفُ، أَيْ: يُعْطُونَ السَّاعِيَ ضَرْبَ السَّيْفِ بَدَلًا عَنِ الزَّكَاةِ...، وَقَدْ كَانَتْ عَلَى الْأَعْرَابِ دَائِرَةُ السَّوْءِ إِذْ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ـ ﷺ ـ عَامَ الرِّدَّةِ، وَهَزَمُوهُمْ فَرَجَعُوا خَائِبِينَ). [2]

ومعنى التربص: الانتظار[3]، والدوائر: جمع دائِرَة، وهي (الهَزِيمَةُ وَالسُّوءُ..، وَقَوْلُهُ ـ ﷻ ـ ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ قِيلَ: المَوْتُ أَو القَتْلُ)[4]، أي: أن الأعراب ينتظرون أن تحيط الهزيمة بالمسلمين، (أي: يحيط بهم السّوء إحاطة الدّائرة بمن فيها، فلا سبيل لهم إلى الانفكاك منه بوجه)[5]، ويكون مصيرهم الموت أو القتل، (وَقِيلَ: تَرَبُّصُ الدَّوَائِرِ هُنَا مَوْتُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ وَظُهُورِ الشِّرْكِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا تُطَلَّقُ يَوْمًا أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا

---

(١) المفردات للأصفهاني ٦٠٦.
(٢) التحرير والتنوير ١١/ ١٣.
(٣) لسان العرب (ربص).
(٤) السابق (دور).
(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ٣٢٢ .

وَتَرَبُّصُ الدَّوَائِرِ لِيَخْلُصُوا مِنْ إِعْيَاءِ النَّفَقَةِ)[1]، وآثر المولى ـ ﷻ ـ التعبير بالجمع "دوائر" في قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ ؛ للمبالغة في ترقب المنافقين لهزيمة المؤمنين.

والباء في قوله تعالى: ﴿بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾للسببية، أي: ويتربص بسببكم الدوائر، أو ويتربص بسبب حالتكم الدوائر على تقدير مضاف محذوف، واختار ذلك العلامة الطاهر، وهو الأرجح حيث قال: (وَجُعِلَ المَجْرُورُ بِالبَاءِ ضَمِيرَ المُخَاطَبِينَ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: وَيَتَرَبَّصُ بِسَبَبِ حَالَتِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْكُمْ لِظُهُورِ أَنَّ الدَّوَائِرَ لَا تَكُونُ سَبَبًا لِانْتِظَارِ الِانْقِلَابِ بَلْ حَالُهُمْ هِيَ سَبَبُ تَرَبُّصِهِمْ أَنْ تَنْقَلِبَ عَلَيْهِمُ الحَالُ؛ لِأَنَّ حَالَتَهُمُ الحَاضِرَةَ شَدِيدَةٌ عَلَيْهِمْ، فَالمَعْنَى أَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ ضَعْفَكُمْ وَهَزِيمَتَكُمْ، أَوْ يَنْتَظِرُونَ وَفَاةَ نَبِيِّكُمْ فَيُظْهِرُونَ مَا هُوَ كَامِنٌ فِيهِمْ مِنَ الكُفْرِ، وَقَدْ أَنْبَأَ اللَّهُ بِحَالِهِمُ الَّتِي ظَهَرَتْ عَقِبَ وَفَاةِ النَّبِي ـ ﷺ ـ وَهُمْ أَهْلُ الرِّدَّةِ مِنَ العَرَبِ)[2]، وهذا حال المنافقين في كل زمان ومكان يتربصون بالمؤمنين الدوائر، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، غير منسجمين مع أنفسهم، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ويتحينون الفرص للانقضاض على الإسلام والمسلمين، ولكن الله غالب على أمره، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

والموضع الأول لدائرة السوء في القرآن الكريم جاء في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ [التوبة:٩٨]، حيث جاءت

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، ت/ صدقي محمد جميل ٥/ ٤٩٢ ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ١٤٢٠هـ ، والبيت تحت عنوان: تمنّى طلاق امرأة مرغوب فيها، حيث قال الأصفهاني: وشكا رجل إلى قراص الأزدي تزويج امرأة كان يريد أن يتزوجها فقال: "تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ..."، وهو في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني ٢٣٠ ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ ط الأولى١٤٢٠هـ.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/١١.

جملة ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ جملة اعتراضية[1]، بين قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، والغرض منها الدعاء على هذه الطائفة من الأعراب المنافقين بالهلاك والعذاب؛ لأنهم يضمرون السوء للمؤمنين، فكان الجزاء من جنس العمل، وانقلب السحر على الساحر، ودارة الدائرة عليهم، وانقلبت عليهم فلم يفلت منهم أحد، وهذا دعاء عليهم بمثل ما أرادوا بالمسلمين، وهذا تخييل وتجسيد للمعنويات كما يقول صاحب الظلال: ("وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ" وينتظر متى تدور الدائرة على المسلمين، ويتمنى ألا يعودوا من غزاة سالمين، وهنا يعاجلهم السياق بدعاء من الله ـ سبحانه ـ عليهم ودعاء الله معناه وقوع مدلول الدعاء عليهم، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾، كأن للسوء دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم وتدور عليهم فلا تدعهم، وذلك من باب تجسيم المعنوي وتخييله، الذي يعمق وقع المعنى ويحييه)[2]، وهذا (دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِنِسْبَةِ ما أخبر به عنهم كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة:٦٤]، وَالدُّعَاءُ مِنَ اللَّهِ هُوَ بِمَعْنَى إِيجَابِ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَدْعُو عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ وَهِيَ فِي قَبْضَتِهِ..، وَقِيلَ: دُعَاءٌ، أَيْ: قُولُوا عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ، أَيْ: المَكْرُوهِ)[3]، أو هو (دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ وَتَحْقِيرٌ، وَلِذَلِكَ فُصِلَتْ، وَالدُّعَاءُ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ: تَكْوِينٌ وَتَقْدِيرٌ مَشُوبٌ بِإِهَانَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى

---

(١) الاعتراض هو: أن يؤتَى في أثناء الكلام، أو بَيْنَ كلامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ معنىً، بجملةٍ أو أكثرَ لا محلَّ لها من الإعراب لنكتةٍ. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٢٣ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

(٢) في ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب ٣/ ١٧٠١ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة . ط السابعة عشر ـ ١٤١٢هـ.

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، ت/ صدقي محمد جميل ٥/ ٤٩٢.

تَمَنِّي مَا يُرِيدُهُ)[1]، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يكون هذا دعاء من الله تعالى عليهم بمثل ما أرادوا بالمؤمنين؛ لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا، وتعليم للمؤمنين بكيفية الدعاء عليهم.

والدائرة حلقة مفرغة لا يُدرى أين طرفاها، فكأنهم وقعوا في هزيمة ساحقة دائرة لا يُدْرَى أين طرفاها ولا منتهاها، وقد استعيرت الدائرة هنا للهزيمة والهلاك الذي يقع بالمنافقين، ومن الإعجاز في نظم هذه الآية هزيمة المنافقين رغم التعبير عنهم بلفظ الجمع "دوائر"، وهلاكهم بدائرة واحدة من الله تعالى، وهي "دائرة السوء"؛ ولذلك (انظر كيف صور القرآن ما امتلأت به نفوس المنافقين من أحلام الترقيب لهزيمة المسلمين، وكثرة أمانيهم في ذهاب دولة الإسلام بجمع "الدوائر" في قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ ، وكيف جاء رد الله عليهم بالإفراد، مبالغة في شدة الهلكة، حيث يكون هلاكهم بدائرة واحدة، هي دائرة السوء التي لا نجاة معها، فاجتمع في الآية من التناسب الدقيق في المقابلة ... ما يشهد بإعجاز النظم الحكيم).[2]

والإضافة في ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة، أو من باب البيان والتأكيد، أو (مِنَ الإِضَافَةِ إِلَى الوَصْفِ اللَّازِمِ كَقَوْلِهِمْ: عَشَاءُ الآخِرَةِ، إِذِ الدَّائِرَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي السَّوْءِ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ: لَوْ لَمْ تُضَفِ الدَّائِرَةُ إِلَى السَّوْءِ عُرِفَ مِنْهَا مَعْنَى السَّوْءِ؛ لِأَنَّ دَائِرَةَ الدَّهْرِ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي المَكْرُوهِ، وَنَظِيرُهُ إِضَافَةُ السَّوْءِ إِلَى ذِئْبٍ فِي قَوْلِ الفَرَزْدَقِ:

فَكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ حِينَ رَأَى دَمًا ... بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ [3]

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/١١.

(٢) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د/ محمد الأمين الخضري ١٣١ بتصرف.

(٣) يقول: إنك مثل الذئب حين يرى رفيقه داميًا فإنه ينقض على دمه ويفترسه. شرح ديوان الفرزدق لـ/ إيليا الحاوي ٣٦٦/٢ ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٩٨٣م.

إِذِ الذِّئْبُ مُتَمَحِّضٌ لِلسَّوْءِ إِذْ لَا خَيْرَ فِيهِ لِلنَّاسِ)[1]، وسيأتي تفصيل ذلك في الموضع الثاني لدائرة السوء في سورة الفتح في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

القراءات الواردة في كلمة: "السوء":

اختلف القراء في كلمة "السوء" من حيث ضمّ السين وفتحها من قوله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۚ﴾[التوبة:٩٨، الفتح:٦]، (يقرأ بضم السين وفتحها، ها هنا، وفي سورة الفتح، فالحجة لمن ضمّ: أنه أراد: دائرة الشّرّ أو الإثم أو الفساد، والحجة لمن فتح: أنه أراد: المصدر من قولك: ساءني الأمر سوءًا ومساءة ومساية)[2]، حيث (قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دَآئِرَةُ السُّوءِ﴾بضمّ السّين، وكذلك في سورة [الفتح:٦]، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿ السَّوء ﴾ بفتح السين فيهما، ولم يختلف في غيرهما).[3]

الفرق بين السَّوء والسُّوء:

(الفرق بين السَّوء والسُّوء، أن السَّوء "بفتح السين" هو: مصدر، والسُّوء "بضم السين" هو: اسم، والفرق بينهما أن السَّوء بالفتح يضاف إليه المنعوت، نقول: رجل السَّوء، ظن السَّوء، والسُّوء بالضم المكروه، نقول: ساءني سوءًا، إذا لقيت منه المكروه، فهما من ناحية الأصل مشتركان، ولكن الاختلاف في طريقة الاستعمال).[4]

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ١٤.

(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ت د/ عبد العال سالم مكرم ١٧٧، ٣٢٩ ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ط الرابعة ١٤٠١هـ بتصرف.

(٣) الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، ت/بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي ٢٠٦/٤ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت ـ ط الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٤) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني لـ/سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي ١٢١ ـ دار الوضاح ـ الأردن ـ عمان من دون تاريخ، والفروق اللغوية للعسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم ١٩٩ـ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر من دون تاريخ بتصرف.

وقد ورد لفظ "السّوء" في القرآن الكريم على أوجه كثيرة منها:

(بمعنى " الزنا " كقوله تعالى: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ [يوسف:٢٥]، وبمعنى " الضر " كقوله تعالى: ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وبمعنى " الذنب " كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [النساء:١٧]، وبمعنى " الهلاك " كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ [الرعد:١١]، وبمعنى " العذاب " كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [الأحزاب:١٧]، وبمعنى " الأذى " كقوله تعالى:﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ [الأعراف:٧٣]، وبمعنى " المنكر " كقوله تعالى: ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾[الأعراف:١٦٥]، وبمعنى" القبح "كقوله تعالى: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ [النحل:٥٩]، وبمعنى " البلاء " كقوله تعالى: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل:٦٢]، وبمعنى " الحزن " كقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ [آل عمران:١٢٠]، وبمعنى " العورة " كقوله تعالى:﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ [الأعراف:٢٦]، وبمعنى " الجثة " كقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ ﴾ [المائدة:٣١]، وبمعنى " الهزيمة " كقوله تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران:١٧٤]، وبمعنى " الظلم " كقوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ ﴾[النساء:١٤٩]، وبمعنى " الخيانة " كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ [يوسف:٢٤]، وبمعنى " الميل إلى النساء "كقوله تعالى: ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [يوسف٥١]، وبمعنى "الكفر" كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الروم:١٠]، وبمعنى " السباب " كقوله تعالى: ﴿ وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ

أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوَءِ ﴾ [الممتحنة:٢]، وبمعنى "الجنون" كقوله تعالى: ﴿ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ [هود:٥٤]، وبمعنى "السواد" كقوله تعالى: ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [طه:٢٢]، فقد بلغت المعاني التي استخدم القرآن فيها هذه المادة عشرين وجهًا كما ترى ، والتفرقة بينها تعتمد على اعتبارات دقيقة).[١]

ومن خلال تعدد معاني "السوء" في القرآن الكريم يتبين أن التفرقة بينها تعتمد على السياق الذي وردت فيه الكلمة، ويلحظ أن صاحب خصائص التعبير القرآني ـ رحمه الله ـ لم يذكر السّوء بمعنى: الهزيمة والشر والهلاك كقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[التوبة:٩٨، والفتح:٦].

ثم ختمت الآية الكريمة بالتذييل[٢] في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، والتذييل يزيد به المعنى وضوحًا وتأكيدًا ومبالغةً، فالله تعالى سميعٌ بتدبير وبتربص أهل السوء، عليمٌ بنواياهم السيئة.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ عبد العظيم المطعني ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

(٢) التذييل: أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام، وهو على قسمين: قسم لا يجري مجرى المثل، إنما يفيد مجرد توكيد المعنى السابق، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل، والذي في الآية هنا من النوع الأول. تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري، ت د/ حفني محمد شرف ص ٣٨٧ ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

المبحث الثاني

"ظن السّوء" و"دائرة السّوء" في سورة الفتح

قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح:١٢].

والمعنى العام للآيتين، أي: وليعذِّب الله أهل النفاق وأهل الشرك ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ ،(أي: الظانين بربهم أسوأ الظنون، ظنوا أن الله تعالى لن ينصر رسله والمؤمنين، وأن المشركين يستأصلونهم جميعًا كما قال تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ ، قال القرطبي: ظنوا أن النبي ـ ﷺ ـ لا يرجع إلى المدينة ولا أحدٌ من أصحابه حين خرج إلى الحديبية[1]، ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ دعاءٌ عليهم، أي: عليهم ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين من الهلاك والدمار ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾، أي: سخط تعالى عليهم بكفرهم ونفاقهم، وأبعدهم عن رحمته ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾، أي: وهيأ لهم في الآخرة نارًا مستعرة هي نار جهنم، وساءت مرجعًا ومنقلبًا لأهل النفاق والضلال، ثم أظهر تعالى ما يخفونه في نفوسهم فقال: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾، أي: بل ظننتم أيها المنافقون أن محمدًا وأصحابه لن يرجعوا إلى المدينة أبدًا، ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾، أي: وزُيّن ذلك الضلال في قلوبكم ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾، أي:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ت/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ٢٦/ ٢٦٥ ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ط الثانية ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.

ظننتم أنهم يُسْتأصلون بالقتل، ولا يرجع منهم أحد ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾، أي: وكنتم قومًا هالكين عند الله، مستوجبين لسخطه وعقابه).[1]

أولًا : **أسباب النزول**:

هاتان الآيتان من سورة الفتح لم يكن لهما سبب نزول وحدهما، وإنما كان للسورة كلها من أولها إلى آخرها سبب نزول؛ وذلك لأن سورة الفتح تتعلق بصلح الحديبية الذي كان فتحًا عظيمًا وتمهيدًا لفتح مكة المكرمة، (عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ قَالَا: نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فِي شَأْنِ الحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا).[2]

ثانيـاً: **علاقة هاتين الآيتين بمطلع السورة**:

سورة الفتح (مقصودها: مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية، وفتح خيبر ونحوهما، وما تفرع عنه من إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة، وفتوح جميع البلاد، الذي يجمعه كله إظهار هذا الدين على الدين كله، وهذا كله في غاية الظهور، بما نطق به ابتداؤها وأثناؤها، في مواضع منها: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧]، وانتهاؤها: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٨. ٢٩] ، إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، أي: بالفتح الأعظم، وما دونه من الفتوحات)[3]، وفي مطلع السورة دلالة على تحقق وقوع فتح مكة، وذلك بالتعبير بالماضي موقع المضارع في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾

---

(١) صفوة التفاسير للدكتور/ محمد علي الصابوني ٣/ ٢٠٣ـ دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) أسباب النزول للواحدي، ت/ عصام بن عبد المحسن الحميدان ٣٨٢ ـ دار الإصلاح ـ الدمام ـ ط الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢٧٣/١٨ ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة من دون تاريخ، ومَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ للبقاعي ٤٩٢/٢.

[الفتح:١]، (هو فتح مكة، وقد نزلت مرجع رسول الله ـ ﷺ ـ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح، وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره؛ لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى)[(١)]، (وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: ارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح من جهات ـ وقد يغمض بعضها ـ منها أن سورة القتال لما أمروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد:٤] الآية، وأشعروا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [محمد:٧] استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حالة العاقبة فعرفوا ذلك في هذه السورة فقال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾ [الفتح:١] الآيات، فعرف تعالى نبيه ـ ﷺ ـ بعظيم صنعه له، وأتبع ذلك بشارة المؤمنين العامة فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ﴾ [الفتح:٤] الآيات، والتحمت إلى التعريف بحال من نكث من مبايعته ـ ﷺ ـ، وحكم المخلفين من الأعراب[(٢)]، والحض على الجهاد، وبيان حال ذوي

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٣٢ ، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور/ محمد أبو موسى ٢٨٦ . مكتبة وهبة . القاهرة . ط الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) (المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْراب: هم جُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَغِفَارٌ، وَأَشْجَعُ، وَالدِّيلُ، وَأَسْلَمُ، اسْتَنْفَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ حِينَ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ مُعْتَمِرًا، لِيَخْرُجُوا مَعَهُ حَذَرًا مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ يَعْرِضُوا لَهُ بِحَرْبٍ، أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ وَأَحْرَمَ هُوَ ـ ﷺ ـ ، وَسَاقَ مَعَهُ الهَدْيَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يريد حربًا، ورأى أُولَئِكَ الْأَعْرَابُ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ عَدُوًّا عَظِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ وَثَقِيفٍ وَكِنَانَةَ وَالْقَبَائِلِ وَالْمُجَاوِرِينَ بمكة، وهو الأَحَابِيشُ وَلَمْ يَكُنِ الإِيمَانُ تَمَكَّنَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَقَعَدُوا عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ ، وَتَخَلَّفُوا وَقَالُوا: لَنْ يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَصْحَابُهُ مِنْ هَذِهِ السَّفْرَةِ، فَفَضَحَهُمُ اللَّهُ ـ ﷻ ـ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَعْلَمَ رسوله ـ ﷺ ـ بِقَوْلِهِمْ وَاعْتِذَارِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ كَذَلِكَ). البحر المحيط ٩/٤٨٨،٤٨٧.

الأعذار...)[1]، وقد اشتملت سورة الفتح على الظن المذموم مرتين، مرة في حق الله ــ ﷻ ــ في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ... ﴾ ، ومرة في حق رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ ؛ ولذلك جاء التعبير هنا بـ ﴿ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ مرتين، وتوسطهما التعبير بـ ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ لمناسبته السياق والمقام للسورة الكريمة.

وللقرآن الكريم مزية في تعانق الآيات بعضها ببعض، بل تتعداها إلى تعانق السور، ولا توجد هذه المزية في أي كتاب آخر، وقد تناسبت سورة الفتح مع سورة التوبة في تناسب الكلام عن المنافقين فيهما، لا سيما المنافقين من الأعراب الذين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ، والسورتان تتناسبان في فضح أمر المنافقين من الأعراب، والدعاء عليهم بالهلاك والهزيمة في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [التوبة:٩٨، والفتح:٦]، وهذا الدعاء بهذه الصيغة الموجزة التي لم تتعد الثلاث كلمات تفردت به هاتان السورتان الكريمتان، ولا مثيل لهما في الذكر الحكيم.

ومن الأسرار البلاغية في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ هذه الآية معطوفة على ما قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٥]؛ وذلك ليقابل بينهما؛ ليميز الخبيث من الطيب منهما؛ ولأن القرآن الكريم جاء للترغيب والترهيب، فيرغب المؤمنين في الجنة وحُسْنُ مُقَامِهَا، ويرهب المنافقين والمشركين من جهنم وسوء مصيرها،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢٧٧/١٨، ٢٧٨.

وهذه المقابلة[1] تكشف عن حالتي التضاد القائم بين حالتي الرضى والعقاب بين المؤمنين وأهل النفاق والشرك، وعبر المولى ـ ﷻ ـ بالفعل المضارع "يعذب"؛ لاستحضار هيئة العذاب في ذهن المخاطبين لكراهيته والتحذير منه، والعذاب هو إيلام حي، وقد وصف العذاب في القرآن الكريم بأنواع عديدة، فمرة يوصف بـ (العذاب العظيم)، ومرة يوصف بـ (العذاب الأليم)، ومرة يوصف بـ (العذاب المهين)، وقد جمعت الأوصاف الثلاثة متوالية في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٦ـ ١٧٨]، ومرة بـ (العذاب المقيم)، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]؛ وذلك لأن الله تعالى أعد لكل مَنْ عصاه عذابًا يناسبه، فمن الناس مَنْ لا يؤلمه العذاب، أو يتجَلَّدُ للعذاب ولكنه لا يستطيع أن يصبر على الإهانة، أو الإهانة عنده أفظع من العذاب العظيم أو العذاب الأليم، ومن ثَمَّ يناسبه العذاب المهين، أو العذاب المقيم، ليكون أشد إذلالًا له، ويلحظ في الآية الكريمة أن العذاب لم يُعَيَّن نوعه في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ...﴾؛ لأن عجز الآية، وهي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ فيه ما فيه ما هو أشد من أنواع

(١) المقابلة: هو أن يؤتَى بمعنيينِ متوافقينِ، أو مَعَانٍ متوافقةٍ، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب. ينظر بغية الإيضاح للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي ٤/١٢ـ مكتبة الآداب . القاهرة . ط التاسعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

العذاب العظيم، والأليم، والمهين، والمقيم، ويلحظ في الآية الجملة الاعتراضية، والغرض منها الدعاء بالهلاك والهزيمة على المنافقين، وهي قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾، حيث إنها جاءت معترضة بين قوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

ويلحظ أن عجز الآية ينادي على أولها، ويمكن اعتبار هذه الجملة الاعتراضية، وهي قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ من العذاب المهين باعتبارها إهانة لهم، وقوله تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ من العذاب العظيم؛ لأن غضب الله لا يُحَدُّ، وليس لأحد عليه طاقة، وقوله تعالى: ﴿ وَلَعَنَهُمْ ﴾ من العذاب الأليم؛ لأن اللعن وهو الطرد من رحمة الله لا شك في كونه مؤلمًا على النفس، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ من العذاب المقيم؛ لأن إعداد جهنم، وكون المُعِدّ لها هو المولى ـ ﷻ ـ ، ووصفها بسوء المصير، لا شك في كون ذلك من العذاب المقيم، ويعضد ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥. ٦٦]، فانظر كيف ربطت الجملة الاعتراضية الدعائية هذه الأنواع من العذاب، ولولاها لما استقام نظم الآية الكريمة.

وقدم ﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ على ﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ ؛ لأن المنافق أخطر على الإسلام والمسلمين من المشرك؛ لأن المنافق يُظْهِر الإيمان ويُبْطِن الكفر، أما المشرك فظاهره كباطنه في الكفر؛ ولذلك كان عذاب المنافقين في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]، وسورة المنافقين في القرآن الكريم أطول من سورة الكافرين، حيث إن سورة المنافقين آياتها "إحدى عشرة آية"، بينما سورة الكافرون آياتها "ست آيات" ولا تتعدى ثلاثة أسطر،

وفي سورة البقرة ترى مطلع السورة صُدِّر بخمس آيات للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ . ٥] ، وبعد ذلك تحدثت عن الكافرين في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: ٦ . ٧]، بينما تحدثت عن المنافقين في ثلاث عشرة آية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٨ . ٢٠].

(ومعنى "ظَنَّ السَّوْءِ": ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين، ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرًا ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾، أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم ـ والسوء: الهلاك والدمار، وقرئ: "دائرة السَّوء" بالفتح، أي: الدائرة التي يذمونها ويسخطونها، فهي عندهم دائرة سوء، وعند المؤمنين دائرة صدق، فإن قلت: هل من فرق بين السُّوء والسَّوء؟ قلت: هما كالكُره والكَره والضُعف والضَعف، من ساء، إلا أنّ المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، وأما السُّوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، يقال: أراد به السوء وأراد به الخير، ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذمومًا، وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا، وأما دائرة السُّوء

بالضم، فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة، فصح أن يقع عليه اسم السوء، كقوله - ﷻ - "﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [الأحزاب:١٧]). (١)

والموضع الثاني لدائرة السوء جاء في سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٦]، حيث جاءت جملة ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ جملة اعتراضية، والغرض منها الدعاء على هؤلاء المنافقين والمشركين بالهلاك والعذاب؛ لأنهم لم يقتصر أمرهم على إضمار السوء للمؤمنين، ولكن تجرؤا على المولى - ﷻ - بظنهم السيء، فكان الجزاء أشنع، والعذاب أوجع، ودارة الدائرة عليهم، وانقلبت عليهم فلم يفلت منهم أحد، وهذا تخييل وتجسيد للمعنويات كما مرَّ في الموضع الأول في سورة التوبة، ولكن زاد هذا الموضع بصفة "ظن السوء"، هذه الصفة القبيحة الباطلة التي تنتشر وتشتعل في المنافقين والمشركين اشتعال النار في الهشيم، ولما كانت هذه الصفة الخبيثة المرزولة القبيحة ممقوتة عند الله جاءت متبوعة بالدعاء ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾، وغضب الله عليهم، ولعنه لهم، وإعداده لهم من سوء المصير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾، (وقد جمع النص بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في صفة ظن السوء بالله، وعدم الثقة بنصرته للمؤمنين، وفي أنهم جميعًا ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ فهم محصورون فيها، وهي تدور عليهم وتقع بهم، وفي غضب الله عليهم، ولعنته لهم، وفيما أعده لهم من سوء المصير...، ذلك أن النفاق صفة مرذولة لا تقل عن الشرك سوءًا، بل إنها أحط؛ ولأن أذى

(١) الكشاف ٤ / ٣٣٤ بتصرف.

المنافقين والمنافقات للجماعة المسلمة لا يقل عن أذى المشركين والمشركات، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه، وقد جعل الله صفة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هي ظن السوء بالله، فالقلب المؤمن حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائمًا، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين، وسر ذلك أن قلبه موصول بالله، وفيض الخير من الله لا ينقطع أبدًا، فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصيلة، وأحسها إحساس مباشرة وتذوق، فأما المنافقون والمشركون فهم مقطوعوا الصلة بالله، ومن ثم لا يحسون تلك الحقيقة ولا يجدونها، فيسوء ظنهم بالله، وتتعلق قلوبهم بظواهر الأمور، ويبنون عليها أحكامهم، ويتوقعون الشر والسوء لأنفسهم وللمؤمنين، كلما كانت ظواهر الأمور توحي بهذا على غير ثقة بقدر الله وقدرته، وتدبيره الخفي اللطيف، وقد جمع الله في الآية أعداء الإسلام والمسلمين من شتى الأنواع، وبين حالهم عنده، وما أعده لهم في النهاية) [1]، ولما كان هذا الظن باطلًا، والجزاء عليه بشعًا، جاءت الإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ﴾ [فصلت:٢٣].

وهذ الظن (يَحْتَمِلُ وُجُوهًا أَحُدُهَا: هُوَ الظَّنُّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [الْفَتْحِ:١٢]، ثَانِيهَا: ظَنُّ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ فِي الإِشْرَاكِ كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ ... ﴾ إلى أَنْ قال: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النَّجْمِ:٢٣ـ ٢٨]، ثَالِثُهَا: ظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَى وَلَا يَعْلَمُ كما قال: ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فُصِّلَتْ:٢٢]، والأَوَّلُ أَصَحُّ، أَوْ نَقُولُ المُرَادُ جَمِيعُ ظُنُونِهِمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ ظَنُّهُمُ الَّذِي ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُحْيِي المَوْتَى، وَأَنَّ العَالَمَ خَلْقُهُ بَاطِلٌ، كَما قال

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٣١٩.

تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص:٢٧] وَيُؤَيِّدُ هَذَا الوَجْهَ الْأَلِفُ وَاللَّامُ الَّذِي فِي "السُّوءِ").[١]

والإضافة في "ظن السَّوء"، و"دائرة السَّوء" من باب إضافة الموصوف إلى الصفة (فَإِضَافَةُ الظَّنِّ إِلى السَّوْءِ مِنْ إِضَافَةِ المَوْصُوفِ إِلى الصِّفَةِ، وَالمُرَادُ: ظَنُّهُمْ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَمْ يعد الرَّسُول ـ ﷺ ـ بِالفَتْحِ، وَلَا أَمَرَهُ بِالخُرُوجِ إِلى العُمْرَةِ، وَلَا يقدر للرسول ـ ﷺ ـ النَّصْرَ لِقِلَّةِ أَتْبَاعِهِ وَعِزَّةِ أَعْدَائِهِ، فَهَذَا ظَنٌّ سوء بالرسول ـ ﷺ ـ، وَهَذَا المُنَاسِبُ لِقِرَاءَتِهِ بِالفَتْحِ، وَأَمَّا دائِرَةُ السَّوْءِ في قِرَاءَةِ الجُمْهُورِ فَهِيَ الدَّائِرَةُ الَّتِي تَسُوءُ أُولَئِكَ الظَّانِّينَ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: "عَلَيْهِمْ"، وَلَا الْتِفَاتَ إِلى كَوْنِهَا مَحْمُودَةً عِنْدَ المُؤْمِنِينَ إِذْ لَيْسَ المَقَامُ لِبَيَانِ ذلك، وَالإِضَافَةُ مِثْلُ إِضَافَةِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَأَمَّا فِي قِرَاءَةِ ابنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو فَإِضَافَةُ دائِرَةُ المَضْمُومُ مِنْ إِضَافَةِ الْأَسْمَاءِ، أَيِ: الدَّائِرَةُ المُخْتَصَّةُ بِالسَّوْءِ، وَالمُلَازِمَةُ لَهُ لَا مِنْ إِضَافَةِ المَوْصُوفِ، وَلَيْسَ في قِرَاءَتِهِمَا خُصُوصِيَّةٌ زَائِدَةٌ على قِرَاءَةِ الجُمْهُورِ، وَلَكِنَّهَا جَمَعَتْ بَيْنَ الِاسْتِعْمَالَيْنِ فَفَتْحُ السَّوْءِ الأَوَّلِ مُتَعَيِّنٌ، وَضَمُّ الثَّانِي جَائِزٌ وَلَيْسَ بِرَاجِحٍ، وَالِاخْتِلَافُ اخْتِلَافٌ فِي الرِّوَايَةِ، وَجُمْلَةُ "﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دُعَاءٌ أَوْ وَعِيدٌ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَتْ بِالِاسْمِيَّةِ لِصَلُوحِيَّتِهَا لِذَلِكَ بِخِلَافِ جُمْلَةِ ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ فَإِنَّهَا إِخْبَارٌ عَمَّا جَنَوْهُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِمْ فَالتَّعْبِيرُ بِالمَاضِي مِنْهُ أظهر).[٢]

وقيل إن (السوء صفة لموصوف محذوف، أي: ظن الأمر السوء ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾، أي: ما يظنونه ويتربصون بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم؛ الدائرة مصدر بزنة اسم الفاعل، أو اسم فاعل من دار يدور، سمى به عاقبة

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/ ٧٠ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦ / ١٥٤.

الزمان، أي: حادثته، وهي في الأصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة المحيط بمن وقعت عليه، إلا أن أكثر استعمالها في المكروه، والسّوء بالضم معناه: العذاب والهزيمة والشر، وبالفتح معناه: الذم، وقد قرئ بهما، وهما لغتان، وفي الأصل مصدران، وهذا إخبار عن وقوع السوء بهم، أو دعاء عليهم، والإضافة من باب إضافة العام للخاص، فهي للبيان، وقال سيبويه: السوء هنا الفساد).[١]

ويمكن أن تكون الإضافة في قوله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ بالوجهين [فتح السين وضمها] للتأكيد على إحاطة الدائرة عليهم، ولا خلاص لهم منها، والمبالغة والإحكام في إحاطة السوء بهم، (للمبالغة والتأكيد والبيان، كقولهم: شمس النهار، ورجل صدق)[٢]، ويدل على ذلك ـ أيضًا ـ تقديم الخبر وهو الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ، على المبتدأ المؤخر وهو قوله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾، هذا بالإضافة إلى أن "على" حرف يفيد "الاستعلاء"[٣]، فهو أجدر بالإحاطة والإحكام، فالتقديم في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ أقوى في كونهم محصورون في دائرة مطبقة عليهم لا ينفكون منها، وهذا المعنى لا تفيده الإضافة وحدها وهي ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ ، وانظر هنا إلى نظم الجملة الاعتراضية وهي قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾، وكيف أفادت المبالغة والإحكام في إحاطة السّوء بهم، ولولاها لما تم نظم الآية الكريمة.

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان، ت/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ٩١/١٣ . المَكتبة العصريَّة . صَيدَا . بَيروت . ط ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي ١٢/١١ ـ دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ ط الثانية ١٤١٨هـ.

(٣) معاني الحروف للرماني ت/ الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ١٢٢.

ومن الأسرار البلاغية في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح:١٢].

قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ... ﴾ هذه الجملة لا مثيل لها في القرآن الكريم من حيث تركيبها واشتمالها في الوقت نفسه على الجملة التي قبلها، مع تأكيدها على استمرار نفي رجوع الرسول ـ ﷺ ـ ومن معه سالمين، فقد وقعت (هَذِهِ الجُمْلَةُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ جُمْلَةِ ﴿ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح:١١] ، أَيْ: خَبِيرًا بِمَا عَلِمْتُمْ، وَمِنْهُ ظَنُّكُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ، وَأُعِيدَ حَرْفُ الإِبْطَالِ[1] زِيَادَةً لِتَحْقِيقِ مَعْنَى البَدَلِيَّةِ كما يُكَرَّرُ العَامِلُ فِي المُبْدَلِ مِنْهُ، وَالِانْقِلَابُ: الرُّجُوعُ إِلَى المَأْوَى، وأَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنْ (أَنَّ) المُشَدَّدَةِ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَسَدَّ المَصْدَرُ مَسَدَّ مَفْعُولَيْ ظَنَنْتُمْ، وَجِيءَ بِحَرْفِ "لَنْ" المُفِيدِ اسْتِمْرَارَ النَّفْيِ).[2]

والظن إما أن يكون لليقين أو للشك، (وَلِلْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فِي القُرْآنِ ضَابِطَانِ: أنه إن كان محمودًا فهو لليقين، وإن كان مذمومًا فهو للشك، وأنَّ كل ظن يتصل بعده "أنْ" المخففة فهو شك كقوله تعالى:﴿ إِن ظَنَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ ﴾ [الفتح:١٢]، وَكُلُّ ظَنٍّ يَتَّصِلُ بِهِ أَنَّ المُشَدَّدَةُ فَالمُرَادُ بِهِ اليَقِينُ كقوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة:٢٠]...، وَالمَعْنَى فِيهِ أَنَّ المُشَدَّدَةَ لِلتَّأْكِيدِ فَدَخَلَتْ عَلَى اليَقِينِ، وَأَنَّ الخَفِيفَةَ بِخِلَافِهَا فَدَخَلَتْ فِي الشَّكِّ...، فَإِنْ قِيلَ: يَرُدُّ عَلَى هَذَا الضَّابِطِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة:١١٨]،

---

(١) المقصود بحرف الإبطال هنا هو :"بل" وهو حرف عطف يفيد الإضراب.
(٢) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٢٤.

وَأُجِيبُ بِأَنَّهَا هُنَا اتَّصَلَتْ بِالِاسْمِ وَهُوَ مَلْجَأٌ، وَفِي الأَمْثِلَةِ السَّابِقَةِ اتَّصَلَتْ بِالفِعْلِ، فَتَمَسَّكْ بِهَذَا الضَّابِطِ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْرَارِ القُرْآنِ). (١)

وعلى ذلك فالظن مذموم في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ﴾ والمراد به الشك؛ لأنه واقع بعده "أنْ" المخففة من الثقيلة، ووقع بعدها فعل وهو "ينقلب"، ويمكن أن تكون هذه الجملة مفسرة لعجز الآية التي قبلها، أو جملة تعليلية لها، فقوله تعالى: (﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ ﴾إلخ بدل من ﴿كَانَ ٱللَّهُ ﴾ إلخ مفسر لما فيه من الإبهام، وفي البحر أنه بيان للعلة في تخلفهم، أي: بل ظننتم أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ، أي: لن يرجع من ذلك السفر ﴿ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ ﴾ ، أي: عشائرهم وذوي قرباهم ﴿ أَبَدًا ﴾ بأن يستأصلهم المشركون بالمرة فحسبتم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما يصيبهم فلأجل ذلك تخلفتم، لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة). (٢)

ويلحظ التكرار اللفظي في خطاب المنافقين في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ... وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ وكأن عجز الآية ينادي على أولها؛ ليفيد أمرين معًا هما الأول: التوكيد اللفظي، والثاني: هو بناء حكم آخر عليه بواسطة تكراره، وهو بيان مدى شدة توبيخ وفظاعة أعمال المنافقين، وهو سر بلاغة العطف بالواو، (فالصورة صورة التكرار، ولكن الغرض مختلف، فالأول إخبار بما وقع من المنافقين من الظن بهلاك الرسول والمؤمنين إلى درجة أنْ أصبح ظنهم هذا عقيدة راسخة في قلوبهم، مما جعل النفس تستشرف إلى مدى

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/ ١٥٦، ١٥٧ ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م بتصرف، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م بتصرف.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ت/ علي عبد الباري عطية ١٣/ ٢٥٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤١٥هـ.

صحة هذا الظن أو كذبه، فجاء الحكم على هذا الظن بأنه توهم كاذب أملاه عليهم سوء النية وفساد العقيدة، وقد أشعر التكرار بأن هذا الظن هو عين الأول، ولكن تعلق به الحكم عليه، فيكون في هذا التكرار والعطف زيادة تسجيل وتفظيع لأعمال المنافقين، وذلك ما يفهم من كلام أبي السعود، حيث يقول: " المراد به إما الظن الأول، والتكرار لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء، أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة". (١)

وقد أشار المرزوقي إلى مثل هذا في بيتي الحماسة:

فهَـلاَّ أَعَـدُّوني لِمثْلِـي تَفاقَـدُوا إذا الخَصْمُ أَبْـزَى مائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ

وهَـلاَّ أَعَـدُّوني لِمثْلِـي تَفاقَـدُوا وفي الأَرْضِ مَبْثُـوثٌ شُـجَاعٌ وعَقْـرَبُ

فقال المرزوقي: "وإنما كرر ما كرره على وجه التأكيد، وتفظيعًا للأمر"، (٢) فتفظيع الأمر جاء من تعلق الجملة المكررة بقوله: " وفي الأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وعَقْرَبُ"، مما يلوح بغاية الخطر الذي أربى على ما تعلقت به الجملة الأولى، وأشعر بتعدد الأخطاء التي تستدعي وجود مثله من الفرسان فجاء العطف حسنًا). (٣)

وقد أُكِّدَ قوة ظنهم وتزيينه بقوله تعالى:﴿ أَبَدًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾، جاء الفعل "زُيِّنَ" بصيغة ما لم يسمى فاعله، ولا يصح أن نقول في القرآن مبنيًا للمجهول تأدبًا مع كلام الله تعالى، وقرئ به على الوجهين (قرأ

(١) إرشاد العقل السليم ١٠٧/٨.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ت/ غريد الشيخ ١٥٦، ١٥٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) الواو ومواقعها في النظم القرآني للدكتور/ محمد الأمين الخضري ٢٢٤ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

الجمهور "زُيِّنَ" مبنيًا للمفعول، وقرئ "زَيَّنَ" مبنيًا للفاعل، وهو الشيطان) [١] ، أي: أن المُزَيِّنُ فيهما واحد وهو الشيطان؛ لأن التزيين هنا في الآية جاء مذمومًا، ولا يصح أن ينسب التزيين المذموم لله ـ ﷻ ـ؛ ولهذا قال الحاكم: (إنَّ قوله: "وزَيَّنَ" يدل على أنه تعالى لم يزين ذلك؛ لذلك ذم من زينه).[٢]

وفي قوله تعالى:﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ كناية [٣] عن قبولهم واستحسانهم الظن السيئ، (وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ الظَّنُّ مُزَيَّنًا فِي اعْتِقَادِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْرِضُوا غَيْرَهُ مِنْ الِاحْتِمَالِ، وَهُوَ أَنْ يرجع الرَّسُول ـ ﷺ ـ سَالِمًا، وَهَكَذَا شَأْنُ العُقُولِ الوَاهِيَةِ وَالنُّفُوسِ الهَاوِيَةِ أَنْ لَا تَأْخُذَ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي تَتَصَوَّرُ بِهَا الحَوَادِثُ إِلَّا الصُّورَةَ الَّتِي تَلُوحُ لَهَا فِي بادىء الرَّأْيِ)[٤]، وقد أشعر عجز الآية الذي ينادي على أولها بهذا التزيين المذموم في قوله تعالى: ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾، وقد سبق الكلام عن (ظن السوء).

وقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ انظر إلى حرف الوعاء "في" وكيف أفاد مدى انغماس سوء ظنهم الباطل في قلوبهم بتزيين الشيطان لهم، ونظير حرف الوعاء "في" كثير في الذكر الحكيم كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] فانظر في الآية إلى (صاحب الباطل فإنه لفشله، وضعف حاله، كأنه ينغمس في ظلام، وموضع سافل لا يدري أين

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان، ت/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ١٣/١٠٠.

(٢) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير للدكتور/ عدنان محمد زرزور ٢٩١ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت من دون تاريخ.

(٣) الكناية: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك. مفتاح العلوم للسكاكي، ت / نعيم زرزور ص ٤٠٢ ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٤) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٦٤.

يتوجه، ولا كيف يفعل، فلهذا كان الفعل المتعلق بصاحبه معدى بحرف الوعاء).[١]

أما وصفهم بكونهم قومًا بورا [٢]، فهذا وصف أفاد قوة في أداء المعنى، وهو تصويرهم بالأرض البور التي لا فائدة منها، فهي لا تعطي الثمر، ولا ينبت فيها الشجر، فهي صحراء جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، وهم كذلك لا نفع لهم ولا خير فيهم، فقلوبهم ميتة كالأرض البور بسبب سوء ظنهم، وتزيين الشيطان لهم، (فهذا الظنّ السيئ، وتزيينه في قلوبهم، ينبع من قلوب «بور» كأرض بور ميتة لا حياة فيها ولا ثمار، فبين قلوبهم والأرض البور تشابه وصلة، فكلاهما لا حياة فيه، ولا خصب ولا نماء، وكلاهما ـ أيضًا ـ يوحي بالهلاك والفناء، فصورة القلوب البور توحي بأن الإنسان إذا انقطع عن الإيمان بالله كان ميتًا كالأرض البور)[٣]، ويمكن أن يكون المراد بالهلاك هنا الهلاك المعنوي، (وَهُوَ عَدَمُ الخَيْرِ وَالنَّفْعِ فِي الدِّينِ وَالآخِرَةِ)[٤]، والوصف ـ أيضًا ـ يفيد قوة في أداء المعنى، فهم والأرض البور سواء في عدم الانتفاع.

(وسأل نافع عن قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ فقال ابن عباس: هَلْكى بلغة عُمَان، وهم من اليمن، واستشهد له بقول الشاعر:

فلا تكفروا ما قد صَنَعْنَا إليكمُ وكافُوا به فالكُفرُ بورٌ لصانعِهْ).[٥]

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية د/ محمد أبو موسى ٧١٦ .

(٢) البورُ: الرجلُ الفاسدُ الهالكُ الذى لا خير فيه. الصحاح (بور).

(٣) وظيفة الصورة الفنية في القرآن لـ / عبد السلام أحمد الراغب ١٥٣ . فصلت للدراسات والترجمة والنشر ـ حلب . ط الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٤) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٦٥.

(٥) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق للدكتورة/ عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ٥٢٥ . دار المعارف . ط الثالثة من دون تاريخ.

وَوُصِفَ لفظُ "قوم" بالبوار في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ ؛ لأن البوار من شدة تلبسه بهم صار من مُقَوِّمَات حياتهم، وهو فسادهم وإفسادهم لغيرهم.

والله تعالى أعلى وأعلم بأسرار كتابه.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

وبعد هذه الجولة الندية حول الدراسة القرآنية توصلت إلى النتائج الآتية:

ـ جاء التعبير بـ "ظن السَّوْء" مرتين في القرآن الكريم في سورة الفتح، وجاء التعبير بـ "دائرة السَّوْء" مرتين في القرآن الكريم في سورتي التوبة والفتح، والتعبيران في سياق واحد وهو تَخَلُّفُ المنافقين عن الغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ.

ـ من الخصائص البيانية لسورة التوبة وضوح أسلوب التصنيف لجرائم المنافقين، وتصنيف المنافقين من الأعراب، وأن المنافقين جميعًا يضاهئون المشركين.

ـ التجسيم المعنوي الذي ورد في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨، والفتح:٦]، وكأن للسوء دائرة تنطبق وتدور عليهم فلا يفلت منها أحد منهم، وهو من التخييل الذي يعمق المعنى في النفس، وهو من الفرائد التي اختصت بهما هاتان السورتان بهذه الصيغة من بين سور القرآن الكريم، وهو دعاء من الله تعالى عليهم بمثل ما أرادوا بالمؤمنين؛ لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا، وتعليم للمؤمنين بكيفية الدعاء عليهم.

ـ للقرآن الكريم مزية في تعانق الآيات بعضها ببعض، بل تتعداها إلى تعانق السور، ولا توجد هذه المزية في أي كتاب آخر، وقد تناسبت سورة الفتح مع سورة التوبة في تناسب الكلام عن المنافقين فيهما، لا سيما المنافقين من الأعراب الذين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ، والسورتان تتناسبان في فضح أمر المنافقين من الأعراب، والدعاء عليهم بالهلاك والهزيمة في قوله

تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨، والفتح:٦]، وهذا الدعاء بهذه الصيغة الموجزة لا مثيل له في الذكر الحكيم.

ـ من خلال تعدد معاني "السوء" في القرآن الكريم على أوجه كثيرة، يتبين أن التفرقة بينها تعتمد على السياق الذي وردت فيه الكلمة، وأنها تحتاج إلى دراسة مستقلة مُفَصَّلَة، أسأل الله العون والتوفيق فيها.

ـ اشتملت سورة الفتح على الظن المذموم مرتين، مرة في حق الله ـ ﷻ ـ في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦]، ومرة في حق رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين في قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢]؛ ولذلك جاء تذييل كل آية منهما رادعًا وزاجرًا لمناسبته السياق والمقام.

واللّه ولي التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم جل من أنزله.**

١.	الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .
٢.	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ـ دار إحياء التراث العربي . بيروت من دون تاريخ.
٣.	أسباب نزول القرآن للواحدي، ت/ كمال بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى١٤١١هـ، وأسباب النزول للواحدي، ت/ عصام بن عبد المحسن الحميدان . دار الإصلاح . الدمام . ط الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٤.	الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن للدكتور/ محمد الأمين الخضري . مطبعة الحسين الإسلامية . خلف الجامع الأزهر ـ ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٥.	الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق للدكتورة/ عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ـ دار المعارف . ط الثالثة من دون تاريخ.
٦.	الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
٧.	البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، ت/ صدقي محمد جميل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ١٤٢٠هـ .
٨.	البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة . بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

٩.	بغية الإيضاح للشيخ /عبد المتعال الصعيدي ـ مكتبة الآداب . القاهرة . ط التاسعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٠.	البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور/ محمد أبو موسى . مكتبة وهبة . القاهرة . ط الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١١.	تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري، ت د/ حفني محمد شرف ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
١٢.	التحرير والتنوير للعلامة /الطاهر بن عاشور ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٤هـ .
١٣.	التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم للدكتور/ عبد العظيم المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الثالثة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
١٤.	التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني لـ/ سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي ـ دار الوضاح ـ الأردن ـ عمان من دون تاريخ.
١٥.	تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت/ سامي بن محمد سلامة ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٦.	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور/ وهبة الزحيلي ـ دار الفكر المعاصر ـ دمشق . ط الثانية ١٤١٨هـ.
١٧.	الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ت/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش . دار الكتب المصرية . القاهرة . ط الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
١٨.	الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير للدكتور/ عدنان محمد زرزور . مؤسسة الرسالة . بيروت من دون تاريخ.
١٩.	الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ت د/ عبد العال سالم مكرم ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ط الرابعة ١٤٠١هـ.

٢٠.	الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، ت/ بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت ـ ط الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٢١.	خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ عبد العظيم المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
٢٢.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ت/ علي عبد الباري عطية . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٥هـ.
٢٣.	سنن الترمذي ت/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٢٤.	شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري، ت د/ عبد المجيد دياب ـ دار المعارف ـ ط الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢٥.	شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ت/ غريد الشيخ ـ دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان . ط الأولى١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٦.	شرح ديوان الفرزدق لـ/ إيليا الحاوي . دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٩٨٣م.
٢٧.	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين . بيروت . ط الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٢٨.	صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت من دون تاريخ.
٢٩.	صفوة التفاسير للدكتور/محمد علي الصابوني ـ دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.
٣٠.	علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم دراسة بلاغية نظرية تطبيقية للدكتور/ إبراهيم الهدهد ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الثانية ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩.

٣١.	فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان، ت/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ المَكتبة العصريَّة ـ صَيدَا ـ بَيروت ـ ط ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٢.	الفروق اللغوية للعسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم ـ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر من دون تاريخ.
٣٣.	في ظلال القرآن للأستاذ/سيد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ـ ط السابعة عشر ١٤١٢هـ.
٣٤.	كتاب التعريفات للجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري ـ دار الريان للتراث ـ من دون تاريخ.
٣٥.	كتاب الروح لابن القيم، ت/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي ـ دار عالم الفوائد ـ ط الأولى ١٤٣٢هـ.
٣٦.	لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط الثالثة ١٤١٤هـ.
٣٧.	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت . ط الأولى١٤٢٠هـ.
٣٨.	مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ للبقاعي ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
٣٩.	معاني الحروف للرماني، ت/ الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت١٤٣٠هـ٩ ٢٠٠م.
٤٠.	معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الفكر ـ ط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤١.	مفاتيح الغيب للرازي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الثالثة ١٤٢٠هـ.
٤٢.	مفتاح العلوم للسكاكي، ت/ نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٣.	المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ت/صفوان عدنان الداودي . دار القلم . الدار الشامية . دمشق بيروت . ط الأولى ١٤١٢هـ.
٤٤.	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة من دون تاريخ.
٤٥.	الواو ومواقعها في النظم القرآني للدكتور/ محمد الأمين الخضري . مكتبة وهبة . القاهرة . ط الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٤٦.	وظيفة الصورة الفنية في القرآن لـ/ عبد السلام أحمد الراغب . فصلت للدراسات والترجمة والنشر . حلب . ط الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث.	٩٠٨٧
المقدمة.	٩٠٩١
التمهيد.	٩٠٩٤
المبحث الأول: "دائرة السَّوْء" في سورة التوبة .	٩٠٩٨
أولًا: أسباب النزول.	٩٠٩٨
ثانيًا: علاقة هاتين الآيتين بمطلع السورة.	٩٠٩٩
الأسرار البلاغية في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ... ﴾ [التوبة:٩٨].	٩١٠١
الموضع الأول لـ "دائرة السّوء" في سورة التوبة.	٩١٠٤
القراءات الواردة في كلمة "السّوء".	٩١٠٧
الفرق بين السَّوء والسُّوء.	٩١٠٧
المبحث الثاني: "ظن السَّوْء" و"دائرة السَّوْء" في سورة الفتح.	٩١١٠
أولًا : أسباب النزول.	٩١١١
ثانيًا: علاقة هاتين الآيتين بمطلع السورة.	٩١١١
الأسرار البلاغية في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ... ﴾ [الفتح:٦].	٩١١٣
الموضع الثاني لـ "دائرة السّوء" في سورة الفتح.	٩١١٧
الأسرار البلاغية في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ... ﴾ [الفتح:١٢].	٩١٢١
الخاتمة.	٩١٢٧
فهرس المصادر والمراجع.	٩١٢٩
فهرس الموضوعات.	٩١٣٤